

## Justification In Arabic Critical And Rhetorical Discourse Its Forms And Foundations

### التعليل في الخطاب النقدي والبلاغي العربي أشكاله وأصوله

Received 2025-11-16  
Accepted 2026-09-19  
Published 2026-04-12

Riyadh Mohammad Okaidy\*<sup>1</sup>,  
Mohannad Shabeeb Hamad Al-Fahdawy

College of Education for the Humanities, University of Anbar, Iraq  
riy23h2001@uoanbar.edu.iq\*<sup>1</sup>, Mohannadhamad@uoanbar.edu.iq<sup>2</sup>

To cite this article: Okaidy, Riyadh Mohammad., Al-Fahdawy, Mohannad Shabeeb Hamad. (2026). Justification In Arabic Critical And Rhetorical Discourse Its Forms And Foundations. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (2), 712-724, DOI: <https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i2.39215>

#### Abstract

This study examines justification in Arabic critical and rhetorical discourse as a fundamental tool employed by critics and rhetoricians to justify evaluative judgments, interpret literary texts, and establish critical and rhetorical principles. The development of justification is closely linked to the evolution of Arabic knowledge, which shifted from sensory-based cognition to rational inquiry grounded in reflection and inference. Early critical judgments, particularly before and at the onset of formal authorship, were often presented without explicit justification. However, with the maturation of Arabic intellectual traditions, scholars increasingly sought to justify such judgments and became less inclined to accept them without supporting arguments. Consequently, justification emerged as an essential means of reinforcing and validating judgments, enhancing their persuasive force and ensuring their acceptance, as justified claims are more compelling than unsupported assertions. Moreover, justification contributed to the development of critical and creative thinking by encouraging inquiry into the grounds upon which judgments are based. It also assumed diverse forms and was influenced by related disciplines, including theology (kalām), legal theory (uṣūl al-fiqh), and grammar (naḥw). In addition, theological orientations played a significant role in shaping justificatory practices, particularly in the interpretation of religious texts and discussions of the inimitability of the Qur'ān.

**Keywords:** Justification; Cause; Arabic Criticism; Rhetoric; Grammatical Justification

#### مقدمة

لم يتطرق النقاد والبلاغيون القدامى والمحدثون لموضوع التعليل النقدي والبلاغي؛ ولهذا يتوجب في هذه الدراسة تعريف التعليل النقدي والبلاغي، والحديث عن مراحل نشوئه تطوره، وأن تتناول الدراسة بالبحث أصوله وبواعثه، وبيان صوره أشكاله، وتكمن أهمية هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما المقصود بالتعليل النقدي والبلاغي؟ وما الأسباب التي دعت إلى نشأته؟ وما المراحل التي تطور بها؟ وما أشكاله وأنواعه؟ وما علاقة التعليل النقدي والبلاغي بالتعليل في العلوم المجاورة للنقد والبلاغة؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ من توضيح بعض المفاهيم المتعلقة بالتعليل النقدي والبلاغي، فقد قيل: بأن النقد الأدبي استعراض النصوص الأدبية والحكم عليها بالجودة أو الرداءة، ومعرفة القوانين التي يستطيع الناقد الحكم على النصوص، والنقد عندهم على أقسام منها: النقد البلاغي والنقد النحوي والنقد اللغوي والنقد العروضي (Hasan Ismā'īl, 1983)، أما البلاغة في الكلام فمطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته (al-Qazwīnī, 1987)، ويُفهم من تعريف البلاغة أنها تدور حول أربعة محاور رئيسة: الأول: تفاوت درجات الكلام لاختلاف أقدار المتكلمين. الثاني: مقتضى الحال وهو الاعتبار المناسب، أو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام بطريقة مخصوصة. الثالث: المطابقة فإن ارتفاع شأن الكلام في الحسن يقاس بمدى مطابقتها للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقتها له، وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو ما سماه عبد القاهر الجرجاني "النظم". الرابع: الفصاحة وهي شرط من شروط بلاغة الكلام وتتعلق باللفظ المفرد والمركب دون المعاني. ومن ينعم النظر في كتب النقد والبلاغة سيجد أن أغلب العلل التي يعلل بها البلاغيون تدور حول هذه المحاور الأربعة، وقد اختلط النقد الأدبي بالبلاغة العربية منذ بدايته؛ لأن هدف كل منهما هو تحقيق الجمال في النصوص الأدبية، فالبلاغة تأخذ بيد الأديب إلى الصواب في القول، والنقد ينهيه إلى مكامن الحسن والقبح في النصوص الأدبية، فهما متحدان موضوعاً وغايةً وقد افترقا من وجهين: الأول: أن البلاغة أقرب إلى الناحية الفنية الإيجابية، ووظيفتها متقدمة؛ لأن قواعدها هي التي ترشد الأديب، وتساعد على التعبير، وتألّف الكلام الجميل باستعمال الأساليب التي تكون أكثر موافقة لمقتضى الحال، أما النقد فوظيفته؛ متأخرة؛ لأنه يفترض أن الكلام قد تم إنشاؤه، وفرغ منه صاحبه، ثم يفرض قوانينه ومقاييسه التي يقدّر بها هذا الكلام لبيان ما فيه من المحاسن أو المساوئ. الثاني: أن البلاغة تعنى بالأسلوب أو (الشكل) أكثر من مادة الكلام (الموضوع)، فكل أديب لديه ما يود أن يقوله بغض النظر عن قيمته، والبلاغة ترسم له خطة الأداء قولاً وكتابةً، أما النقد فيعنى بالاثنتين معاً الأساليب والمعاني، فيسأل عن صحة المعاني وقيمتها، ثم يتبين ما في الأسلوب من وضوح وقوة وجمال (Ahmed Al-Shaib, 1991).

### منهجية البحث

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي، إذ استقرأت الدراسة تعليقات النقاد والبلاغيين في كتب النقد والبلاغة وكتب التفسير وأصول الدين وكتب الفقه، لأن تلك الكتب قد تناولت النصوص الأدبية بالتفسير والتحليل سواء كانت تلك النصوص شعرية أو نثرية أو دينية كنصوص القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبعد استقراء التعليقات وجمعها يتم وصف تلك التعليقات، ومن ثم الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، لتكوين استنتاجات وقواعد كلية انطلاقاً

من الملاحظات الجزئية التي تم رصدها، ومن ثم الاستدلال على تلك القواعد أو الاستنتاجات ببعض الأمثلة الواردة في كتب النقاد والبلاغيين، وقد تناقش الدراسة بعض التعليقات وتحللها إن اقتضت الحاجة لذلك، فقد يكون وراء تلك التعليقات أفكار يراد تمييزها، أو قواعد يراد تسويغها وترسيخها، وقد تناقش الدراسة بعض التعليقات وتحللها إن اقتضت الحاجة لذلك، فالباحث يستقرأ التعليقات ويصفها ويحللها ويناقشها إن اقتضى الأمر.

### نتائج البحث ومناقشتها

#### تعريف التعليق النقدي والبلاغي

لم يجد الباحث - فيما اطلع عليه من المصادر والمراجع - من تعرض لتعريف التعليق النقدي والبلاغي قديماً وحديثاً، ولهذا وجب ايضاحه وبيان المقصود منه، ذكر أنفاً أن النقد والبلاغة يتناولان النصوص الأدبية بالتفسير والتحليل والتقييم؛ لبيان مواطن جودة الأساليب وضدها، ومواطن حسن التعبير وقبحها، ومكان قوتها وضعفها، وصحة المعاني ومطابقتها لمقتضى الحال، وينفرد النقد بالبحث عن القيم الجمالية في النص كاملاً، والتعليق النقدي والبلاغي: هو آلية يستعملها النقاد والبلاغيون لتبيين علل الاستحسان والتقبیح، والقوة والضعف في النصوص الأدبية، وتسويغ القواعد والحدود، وتسويغ استعمال بعض الأساليب والمفردات دون غيرها، وبيان علة العدول عن أسلوب إلى آخر، وبيان علل الترجيح بين معنى وآخر، وهو تفسير للأحكام النقدية وتسويغ لها، مما يجعل تلك الأحكام أكثر موضوعية، ويضفي عليها المصداقية، ويجعلها أكثر إقناعاً للمتلقى، ويساعده في إذكاء الحس النقدي، والفهم العميق للنصوص الأدبية، ولذا يمكن القول: إنَّ التعليق ينمي التفكير النقدي الإبداعي لدى المتلقي عن طريق السؤال والبحث عن العلل الكامنة وراء الأحكام النقدية والبلاغية، ولا يمكن إصدار الأحكام النقدية الصحيحة والوقوف على عللها إلا بطول المزاولة والفحص والتنقيب، والفكر الروية، وسبر أغوار النصوص الأدبية.

#### نشأة التعليق النقدي والبلاغي

كان لظهور الفرق الإسلامية أثر كبير في نشأة التعليق بعامة؛ إذ إن كل فرقة تحاول الدفاع عن آرائها بالتعليق والتدليل، ثم تأثر بذلك علماء أصول الفقه، ثم انتقلت حى التعليق إلى علوم العربية فكان نصيب علم النحو منها وافرًا، ومن الطبيعي أن ينتقل ذلك إلى النقد والبلاغة، فالتعليق النقدي والبلاغي نشأ استجابة لعوامل فكرية تتصل بطبيعة المرحلة؛ وذلك بالنظر إلى تغير المعرفة العربية وتطورها من مرحلة إلى أخرى، إذ إن العلوم أو المعرفة بعامة تنقسم على قسمين: الأول: المعرفة الضرورية أو الحسية. الثاني: المعرفة النظرية أو العقلية. وقد كانت العلوم العربية في بداية

التأليف تميل إلى المعرفة الحسية، وهي ما يجده الإنسان في نفسه دون نظر أو استدلال، أو هي ما يدركه بالحواس، أو ما كان مركزاً بالفطرة والطبع، لأن النفس في أول الفطرة أشد إذعائاً وانقياداً للقبول من الحاكم الحسي، لأنه سبق في أول الفطرة إلى النفس وفتحتها بالاحتكام عليها، فألفت احتكامه وأنست به قبل أن أدركها الحاكم العقلي، ثم أخذت المعرفة تتحول شيئاً فشيئاً إلى المعرفة العقلية، وهي ما يتوصل إليه الإنسان ويكتسبه بالفكر والروية، والنظر والاستدلال، والمعرفة العقلية مبنية على المعرفة الحسية، أي أنه لا يمكن التوصل إلى المعرفة العقلية إلا بعد وجود المعرفة الحسية، (al-Ghazālī, (1961), al-Bāqillān, (1987). إلا أن المعتزلة جعلوا العقل حاكماً على المعرفة الحسية، ولهذا يمكننا القول: إنّ التعليل النقدي والبلاغي قد تأثر وتطور بتطور وتغير المعرفة العربية، ولهذا يمكن إجمال مراحل تطور التعليل النقدي والبلاغي بما يأتي:

مرحلة النشأة: تتمثل هذه المرحلة ببداية التأليف في النقد والبلاغة؛ إذ إن النقد المنظم يبدأ بالتذوق أو القدرة على التمييز ومن ثم التفسير والتحليل والتعليل والتقييم وتلك خطوات مرتبطة بعضها ببعض وتحتاج إلى التأمل وتقليب النظر، وهذا لم يحدث حتى ترسخت قواعد التأليف Ihsān (1983)، ولعل هذا أحد أسباب خلو أكثر الأحكام النقدية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام من التعليل، أما عن التعليل بعد بدء التأليف فمن ينعم النظر يجد أن الأحكام النقدية في هذه المرحلة تكاد تكون خالية من التعليل، فالناظر في كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي (٢١٦هـ) أو كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمعي (٢٣١هـ) لا يكاد يجد تعليلاً للأحكام التي أطلقوها، فأكثر أحكامها غير معلقة، وإن وجد التعليل فيكون لغرض الإبانة عن المعنى لا غير، فالتعليلات في هذه المرحلة يمكن وصفها بأنها عامة لا تنفذ إلى أعماق النصوص وتبين خفاياها، ولعل السبب في إطلاق أكثر الأحكام دون تعليل في تلك المرحلة يعود إلى أمرين:

١. أما الأول: فلأن العرب في تلك المرحلة كانوا على قدر كبير من البلاغة والفصاحة وكان لهم إحساس مرهف بلغتهم يجعلهم يميزون الكلام الجيد ويعون الأحكام التي تطلق عليه دون الحاجة إلى التعليل.

٢. وأما الثاني: فيرتبط في السابق وهو أن المعرفة العربية في تلك المرحلة لا تزال تقوم على الفطرة اللغوية السليمة، والحس المرهف، ولهذا صدرت أكثر الأحكام دون وصف أو تعليل؛ إذ من الممكن معرفة الحكم دون تعليل، ولكن تمام العلم بالحكم يقف على طريقة التعليل، إذ إنه قد تكون ثمة لواحق بالحكم تجب معرفتها ولا يتم ذلك إلا بالتعليل.

مرحلة النمو والتطور: تتمثل هذه المرحلة بنهاية الربع الأول من القرن الثالث، إذ احتدم الصراع بين متكلمي الفرق الإسلامية، ودخل المتكلمون أنفسهم ميدان التأليف النقدي والبلاغي، وبهذا انتقلت المعرفة العربية من مرحلة المعرفة الحسية التي تعتمد على الفطرة والغريزة إلى مرحلة

النظر والاستدلال، كل هذه الأمور ساعدت على نمو التعليل في الدرس النقدي والبلاغي، إذ أصبح العقل العربي يتساءل عن كل ما يعرض له ولا تسكن إليه النفس، ويبحث عن الإجابة عن تساؤلاته، ثم لا يسلم بتلك الإجابات ما لم تكن مشفوعة بالتفسير والتعليل، ومن هنا بدأ النقاد والبلاغيون يهتمون بتفسير الأحكام وتعليلها، ولهذا يمكن القول: إن التعليل نما وتطور على يد المتكلمين؛ ولما كان المتكلمون منقسمين على فرق شتى فقد تنوعت مناهجهم في تناول الدرس النقدي والبلاغي، وصارت الحاجة إلى دراسة علمية تقوم على تحليل الظواهر وتعليلها ضرورة ملحة، لتتمكنهم من الصمود أمام حجج الخصوم (Hammādī Ṣammūd, 2010)، وهذا ما جعلهم يهتمون بالتعليل بوصفه أداةً للتثبيت والتوكيد؛ إذ إن "إثبات الشيء معللاً أكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل" (al-'Alawī, 2002)؛ ولأن النفس "أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها" (al-Suyūṭī, n.d)، ولهذا اختلف تحليلاتهم وتعليلاتهم للظواهر البلاغية، وكثر الجدل في التعليل وبخاصة في مسألة إعجاز القرآن، وتحليل النصوص الدينية وتأويلها، وقد عبر ابن وهب الكاتب عن ذلك بقوله: "وليس يقع الجدل والحجة إلا في العلة" (Ibn Wahb al-Kātib, 1969). وقد تميزت هذه المرحلة بنزوع التعليل - بعض الشيء - إلى التحليل والتأسيس على خواص اللغة نفسها، ونجد ذلك في بعض تعليقات الجاحظ (٢٥٥هـ) في "البيان والتبيين" والمبرد (٢٨٥هـ) في رسالة "البلاغة" وكتاب "الكامل" وقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتابه "نقد الشعر" والأمدي (٣٧٠هـ) في "الموازنة" والقاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) في "الوساطة" وغيرهم. مرحلة النضج والازدهار: تبدأ هذه المرحلة بمطلع القرن الخامس الهجري تقريباً، وأهم ما يميز التعليل في هذه المرحلة الاحتكام إلى ما يوحي به النص، إذ كان النقاد والبلاغيون ينطلقون من بنية النص لكشف المعنى مستعينين بالعناصر البيانية والقواعد البلاغية، وكان التعليل يصدر عن فنية النص، ومن أبرز أعلام هذه المرحلة الناقد والبلاغي الكبير عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، إذ كان يعزز التنظير بالتطبيق، ويكشف عن الظواهر الفنية في النصوص بالتحليل والتعليل، وقد اعتمد آلية فنية رفيعة في القراءة والتحليل، مع ما يملكه من مقدرة تأملية ومملكة جعلته يسير أغوار النصوص للكشف عن مكوناتها، وما تخفيه وراء المعنى الظاهر، ولهذا كان التعليل عنده يصدر عن منهج تحليلي فني بامتياز (Raḥmān Garkān, 2016)، إذ كانت قراءة النصوص قبل ذلك تعنى بالتفسير اللغوي بغية الوصول إلى كشف المعنى، أما الجرجاني فقد انتهج منهج التفسير والتحليل والتعليل في قراءة النصوص، وقد استثمر قضية النظم في النقد الأدبي لذلك حاول إخضاع كل عنصر من عناصر النص الأدبي للتحليل والتأويل والتعليل الموضوعي وربط ذلك بالمعنى الكلي للنص أو الغرض الذي يساق الكلام لأجله (Maḥmūd Tawfīq, n.d)، والناظر في كتابي الجرجاني "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" يجد ذلك جلياً، فالجرجاني نادراً ما يترك مسألة أو حكماً دون تحليل وتعليل، فهو يحلل الظاهرة البلاغية تحليلاً فنياً ثم يحاول استخلاص العلل الفنية لها، ولذلك قال:

"لا بدّ لكلّ كلامٍ تستحسّنه، ولفظٍ تستجيدُهُ، من أن يكونَ لاستحسانِكَ ذلكَ جهةً معلومةً وعلّةً معقولةً، وأن يكونَ لنا إلى العبارةِ عن ذلكَ سبيل، وعلى صحّةِ ما ادّعيناها من ذلكَ دليلٌ" (al- Jurjānī, 1992), فهو لا يطالب بضرورة تجاوز الأحكام الانطباعية إلى التعليل فحسب؛ وإنما يوجب إقامة الحجة على صحّة التعليل، ولهذا نجد أغلب النقاد والبلاغيين ينتهجون منهج الاستدلال على صحّة تعليلاتهم متّبعين بذلك منهج المتكلمين والأصوليين في الاستدلال على صحّة العلل، ثم بعد ذلك زاد اهتمام النقاد والبلاغيين في مسألة وضع القواعد، وحرصوا على قضية تعليل كل المسائل، وحاولوا وضع حدود جامعة مانعة لكل المصطلحات النقدية والبلاغية، في محاولة منهم لجعل تلك المصطلحات قوانين مطّردة تتفق مع العقول، مما دعاهم إلى إمعانٍ في الفكر، وتعمقٍ في الاستنباط، ودقّة في الاستدلال، وحاول النقاد البلاغيون باستعمال التعليل "جر النص إلى ساحة القاعدة البلاغية لإحداث نوع من التطابق بين القاعدة والنص" (Muhannad Hamd, 2020)، مما ساهم في أن تكون البلاغة علمًا له قوانينه وأصوله، وله فلسفته الخاصة به، وفلسفة البلاغة "يقصد منها تعليل القواعد البلاغية، والبحث عن أسرارها وأهدافها وغاياتها، وما فيها من قيم جمالية وفنية، وما يمكن أن تتوصل إليه من أحكام نقدية وفوائد للطرق التعبيرية المتعددة" (Hasan Faḍl, 1999). ولذا يمكن القول: إن التعليل عند المتأخرين قد أخذ منعيًا منطقيًا، إذ نجد ذلك عند الرازي (٦٠٦هـ) والسكاكي (٦٢٦هـ) ومن تبعهما من البلاغيين، إذ عمدوا إلى تعليل كل المسائل والقواعد البلاغية والتقسيمات تعلقًا مبنياً على المنطق، حتى صارت البلاغة العربية علمًا يتوفر على كثير من القواعد والتقسيمات والتفريعات التي تصدر عن نزعة تعليمية يحكمها المنطق.

### أشكال التعليل النقدي والبلاغي

تبين للباحث في أثناء استقراء كتب النقد والبلاغة أن التعليل عند النقاد والبلاغيين قد يختلف من عالم لآخر؛ إذ إن لكل واحد منهم طريقته وأسلوبه، وقد يختلف باختلاف الموضوع المراد معالجته، ولذلك اختلفت أساليب التعليل عندهم، ولكن رصد الباحث أشكالاً من التعليل اشترك فيها أغلب النقاد والبلاغيين فمن جهة نوع العلة وجد نوعين من التعليل هما:

١. التعليل الفني أو الجمالي: ونقصد به ما كانت العلة فيه فنية جمالية، تقوم على التحسين أو التقبيح، أو القبول أو الرفض، ويستند فيه الناقد أو البلاغي إلى معايير وقواعد لغوية أو نقدية أو بلاغية، وفي بعض الأحيان يستند فيه إلى الذوق الخاص الذي صقله إدمان القراءة، وتقليب النظر في النصوص الأدبية وكتب النقد والبلاغة، وقد يتدخل العقل أحياناً في هذا النوع من التعليل، يكثر هذا النوع من التعليل عند تحليل النصوص الأدبية لبيان القيم الجمالية لتلك النصوص

وجودة الأساليب أو رداءتها، أي أن العلة إما قاذحة في النص ومؤثرة في جودته، أو أن تكون تسويغاً لاستعمال أسلوب معين دون غيره.

٢. التعليل المنطقي أو العقلي: ونقصد به ما كانت علته عقلية أو منطقية، ويستند فيه الناقد إلى المنطق، وأكثر ما يكون هذا النوع من التعليل في وضع الحدود وتقييد القواعد، والتقسيم والتبويب.

ومن جهة العموم والخصوص وجد شكلين من التعليل هما:

١. التعليل العام: أي أن العلة فيه عامة أو كلية تطرد في باب من أبواب اللغة بعامة، أو في موضوع من موضوعات البلاغة بخاصة.
٢. التعليل الخاص: وهو تفسير للتعليل العام وتخصيص له، أي أن العلة فيه خاصة بالتعبير المراد تحليله.

ومن أمثلة التعليل العقلي ما ذكره بعض البلاغيين من تقسيم دلالة اللفظ على المعنى على ثلاثة أقسام: الأول: دلالة المطابقة أو الدلالة الوضعية: أي أن يدل اللفظ على تمام ما وضع له في أصل اللغة، كدلالة لفظ البيت على المكان الذي يسكنه الناس. الثاني: دلالة التضمن: أي أن يدل اللفظ على جزء من المعنى الموضوع له كدلالة لفظ البيت على السقف، لأنه متضمن له ومشمول عليه. الثالث: دلالة الالتزام: أي أن يدل اللفظ على لازم معناه، كدلالة السقف على الحائط، لأنه لازم له. وقد عللوا هذا التقسيم بقولهم: إنَّ اللفظ إما أنْ تعتبر دلالاته بالنسبة إلى تمام ما وضع له في أصل اللغة وتلك دلالة المطابقة، أو بالنسبة إلى ما هو داخل في مسماه وتلك دلالة التضمن؛ لأنَّ الكل يدل بدهاءة على الجزء، أو بالنسبة إلى ما هو خارج عن مسماه؛ لأنَّ وجود الملزوم يستلزم وجود اللازم وتلك دلالة الالتزام (Ibn al-Bannā' al-Marrākushī, 1985, al-'Alawī, 2002, al-Sakkākī, 1987). والناظر في العلة التي دعتهم إلى هذا التقسيم يجد أنها علة عقلية، وهي أشبه بعلة المناطقة والمتكلمين؛ لأنَّ المنطق يقتضي أن يدل الكل على جزئه أو على ما هو لازم له فوجود الملزوم يقتضي وجود اللازم، والمسلك الذي استعمله البلاغيون في استنباط هذه العلة أشبه بمسلك السبر والتقسيم الذي استعمله المتكلمون والمناطقة ثم الأصوليون ثم النحاة وتبعهم في ذلك البلاغيون، وتجدر الإشارة إلى أنَّ البلاغيين قد اقتفوا أثر المناطقة في هذا التقسيم (Ibn al-Ghazālī, 1961, Ibn al-Sīnā, 1992).

ومن أمثلة التعليل العام والخاص التعليل في مسألة التقديم والتأخير، فقد ذكر النحاة أن العلة في تقديم معمولات الفعل بعضها على بعض هي "العناية والاهتمام" لهذا قال سيبويه: "كأنهم إنَّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإنَّ كانا جميعاً يُهمَّانهم ويَعْنِيانهم" (Sībawayh, 1988)، والعلة التي ذكرها النحاة علة كلية عامة قد تنطبق على جميع ما قدم وحقه

التأخير، أما وجه العناية والاهتمام فيختلف من تعبير لآخر، ولهذا ذكر عبد القاهر الجرجاني أنه لا بدّ في كل تقديم أن يشار فيه إلى وجه العناية والاهتمام ولا يُكتفى بالقول: إنه قُدّم للعناية والاهتمام من غير أن يفسر وجه العناية ويبينها من أين جاءت؟ وبِمَ كان التقديم أهم؟ (al-Jurjānī,1992) ولهذا قالوا: قد يقدم المفعول به على الفاعل؛ لأن ذكره أهم والعناية به أتم، كما في قولهم: "قتلَ الخارجيَّ فلانٌ" فقدموا المفعول به "الخارجيَّ" على الفاعل؛ لأن الغاية أن يعرف المتلقي المفعول به الذي وقع عليه الفعل لا معرفة الفاعل، لأن الذي خرج على السلطان، وكثر منه الأذى وعاث في البلاد، ثم قُتلَ وجب عند الإخبار عن قتله أن يقال: "قتلَ الخارجيَّ فلانٌ"، إذ ليس للمتلقي فائدة في معرفة القاتل، وإنما المراد هو معرفة وقوع القتل بالخارجي ليخلصوا من شره (al-Qazwīnī, 1987)، فقولهم: إن العلة في تقديم المفعول به على الفاعل "العناية والاهتمام" تعليل عام، لأن العلة فيه عامة، وتفسيرهم لوجه العناية والاهتمام هو التعليل الخاص؛ لأنه تعليل يخص هذا التعبير دون غيره، إذ إن تفسير العناية والاهتمام قد يختلف من تعبير لآخر؛ ولهذا سوف نرى للتقديم عللاً معنوية كثيرة، لأن محاولة المتكلم تأدية المعنى بالشكل الأبلغ توجب عليه إيراد الكلام بطريقة مخصوصة أمينة على تأدية المعنى المقصود، ولهذا يصبح المعنى المراد علة في إيراد الكلام بتلك الطريقة. وتجدر الإشارة إلى أن البلاغيين قد أفادوا من تعليقات النحويين في مسألة التقديم والتأخير؛ إذ إن كلاً من النحويين والبلاغيين يبحثون في كلام العرب إلا أن الغاية من كل علم مختلفة، فغاية النحو صون الألسنة من اللحن، وأمن اللبس في إيصال المعنى، فهو يعنى بالمستوى العادي من اللغة أو ما يسمى بـ(البنية السطحية)

وأما البلاغة فإنما تبحث عن الجمال في النصوص الأدبية، وهي تعنى بالمستوى العالي من اللغة الذي يتجاوز الإفهام إلى الإقناع والتأثير أو ما يسمى بـ(البنية العميقة)، ولذا يمكن القول: إن التعليل النحوي تعليل عام، أما التعليل النقدي والبلاغي فهو تعليل خاص، فعمل البلاغي في النصوص يبدأ بعد اكتمال عمل النحوي؛ إذ إن صاحب البيان "والنحوي يشتركان في أن النحويّ ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون الكلام على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء اللغة والنحو والإعراب" (Ibn al-Athīr, n.d), فوظيفة النحو استخراج قواعد اللغة ونُظْمُها، وغايته القصوى حماية اللغة من الفساد وقد حرص النحاة على أن تؤدي اللغة وظيفتها الأساسية وهي الإبلاغ، أما البلاغة فوظيفتها وصف الكيفية التي استعملت فيها اللغة، وتصنيف الأساليب بحسب قدرتها على التعبير عن المعنى المراد تعبيراً يتجاوز الإبلاغ إلى إحداث التأثير أو الإقناع في نفس المتلقي (Abd al-Āṭī, n.d Badawī Ṭabānah,1988, Ḥammādī) (Şammūd,2010)، ومن هنا فإن التعليل البلاغي هو تفسير للتعليل النحوي واستكمال له وبخاصة

في مباحث علم المعاني؛ لأن النحو أساس البلاغة وجذورها العميقة، فإذا كان التعليل النحوي تسويغاً للقواعد والأساليب، فإن التعليل البلاغي يتناول معاني النحو المضمرّة، والأسرار الدفينة؛ وهو كشف عن الإيحاءات الكامنة وراء كل لفظ وكل تركيب، ومن ذلك نجد النحاة يعللون حكم الحذف في الكلام بعلّة الإيجاز وتلك علة عامة تنطبق على كل تركيب حذف منه شيء، فالعرب تحذف من كلامها ما دل عليه الظاهر طلباً للاختصار، بينما لا يكتفي البلاغيون بهذا التعليل وإنما يسألون عن العلة التي دعت المتكلم إلى استعمال الإيجاز دون الإطناب.

وإذا كان النحاة قد قسموا العلل النحوية على قسمين: علة تطرد في كلام العرب، وعلة تكشف عن حكمتهم وعن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم، وكان النحويون أكثر استعمالاً للأولى، فإن البلاغيين قد تفننوا في الكشف عن العلة الثانية، فإن للعرب مقاصد خفية في كلامهم، وكلّ له أسلوب خاص في التعبير، فبعضهم يعتمد على الإيجاز، والآخر يعتمد على الإطناب، وثالث يعتمد على التصريح، ورابع يعتمد على الرمز والتلويح، ومهمة النقاد والبلاغيين هي الكشف عن المقاصد والأغراض الكامنة خلف تلك الأساليب، لذلك تعمقوا في البحث عن العلل والأسباب التي دعت الأدباء إلى استعمال تلك الأساليب والتراكيب اللغوية، ولهذا يمكن القول: إن التعليل البلاغي هو امتداد للتعليل النحوي واستكمال له. أما عن علاقة التعليل البلاغي بالتعليل عند علماء الأصول فإن كلاً من البلاغي والأصولي يشتركان بالنظر في النصوص الدينية، لكنّ صاحب البلاغة يبحث في القيم الجمالية لتلك النصوص من جودة الأساليب، وحسن السبك والتصوير، ويحلل ذلك ويعلله، أما الأصولي فعمله مختلف؛ إذ إنه أمام نص لغوي يتضمن حكماً شرعياً، ومهمته استخراج العلة الشرعية لذلك الحكم من النص نفسه، وهذا يتطلب منه أن يكون ضليعاً في علوم اللغة وأهمها علوم البلاغة؛ وقد أشبهت أكثر علل البلاغيين علل الأصوليين من جهة أن كليهما مستخرجة من الكلام بالاستقراء ولذا فهي علل ظنيّة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يكون للحكم الواحد في الفقه والبلاغة أكثر من علة، إلا أن علل الأصوليين بعضها منصوص عليها، وبعضها مستخرج من النصوص الدينية، أما علل البلاغيين فهي مستخرجة من النصوص الأدبية بالاستقراء، وتختلف علل البلاغيين عن علل الأصوليين في أن علل البلاغيين علل جمالية يغلب أن يكون الذوق هو الحاكم فيها، وهي تفسر القيم الجمالية في النصوص الأدبية وتحكم عليها بالتحسين أو التقييح،

أما علل الأصوليين فهي علل شرعية الحاكم فيها هو الشرع، وهي تسويغ للأحكام الشرعية المتعلقة بالحلال والحرام والإباحة والحظر وغيرها، والأصولي يتعامل مع النصوص الدينية ويرجع بين الأدلة في حكم شرعي، أما صاحب البيان فهو يتعامل مع النصوص الدينية والأدبية معاً ولكن يتناولها بطريقة تختلف عن طريقة الأصوليين، ففي النصوص الدينية وبخاصة القرآن الكريم يحاول الكشف

عن أسرار أعجازه، أما مع النصوص الأدبية فهو يحاول تحليل الأساليب المستعملة، ويرجع بعضها على بعض في التعبير عن المعنى، ويبحث في صحة المعاني، وحسن السبك، والتصوير وغيرها.

أما عن علاقة التعليل النقدي والبلاغي بالتعليل عند المتكلمين فقد بينا سابقاً أن التعليل انتقل إلى النقد والبلاغة عن طريق المتكلمين الذين ألفوا في النقد والبلاغة أمثال الجاحظ (٢٥٥هـ) فقد كان متكلماً على طريقة المعتزلة حتى قيل: إنه كان على رأس فرقة من المعتزلة عرفت فيما بعد بالجاحظية، والجرجاني كان متكلماً على طريقة الأشاعرة، وغيرهم من النقاد والبلاغيين فقد كان أكثرهم ينتمون إلى الفرق الكلامية، وكان لكل فرقة أصولها ومبادئها التي لا يمكن الحياد عنها، ولهذا نجد تأثير ذلك جلياً في التعليل البلاغي وبخاصة في مسألة إعجاز القرآن وتفسيره، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ [الأعراف: ١٤٣]، قال الزمخشري (٥٣٨هـ) في تفسير قوله تعالى: "وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" أي: "من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه: أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح" (al-Zamakhshari, 1998), وفي هذا التفسير تصريح من الزمخشري بأن كلام الله مخلوق، وهذا هو معتقد المعتزلة، والعلة في ذلك عندهم معروفة وهي تنزيه الله تعالى عن الصفات التي تشابه صفات البشر كما أقروا ذلك في الأصل الأول من أصولهم وهو "التوحيد"، ويلحظ أن الزمخشري لم يصرح بهذا التعليل، وإنما ذكر التفسير وكأنه من المسلّمات، ولعل الغرض من ذلك هو تمرير بعض الأفكار الخاصة بمذهبه الكلامي، إذ إن أسلوب التحايل والتمويه كان شائعاً عند المتكلمين يستعملونه في المناظرة والحجاج للانتصار على الخصوم، وكانت كل فرقة تحاول تأويل الآيات المختلف فيها بحسب مذهبها العقدي، وكل فرقة تدعي أنها استمدت أصولها ومبادئها من القرآن الكريم الذي وجدوا فيه متسعاً لتأييد ما يعتقدون به (Abdalkim, 2003, muhammad Miftah, 1990).

وقد اعتمد المعتزلة على قضيتي "المحكم والمتشابه" و"المجاز" في تأويل كل الآيات التي يدل

ظاها على تلك الصفات، ثم استعمله خصومهم فيما بعد للرد عليهم (Naṣr Ḥāmid Abū Zayd, 1996), وقد رد أهل السنة والجماعة هذا التأويل والتعليل فقالوا في تفسير الآية التي ذكرت آنفاً: لا بدّ من الاعتقاد بأن موسى (عليه السلام) سمع الكلام القديم القائم بذات الله تعالى بلا واسطة، وكما أجزنا في العقول سماع كلامه وإن لم يكن حرفاً، فكذلك يجوز أن ترى ذات الله وإن لم يكن جسمًا (al-Ṭībī, 2013) الناظر في تفسير الزمخشري وأصحابه وتفسير أهل السنة والجماعة يلحظ وبشكل جلي تأثير التفسير والتعليل بالمذهب العقدي، ولهذا لم يحد أحد منهم عن أصول مذهبه العقدي ومبادئه.

ويُستنتج مما سبق أنّ النقاد والبلاغيين قد تأثروا بمناهج التعليل في العلوم المجاورة للنقد والبلاغة، فقد انتهجوا مناهج المتكلمين والأصوليين والنحاة في التعليل، مع اختلاف التعليل في كل

علم، أما التعليل عند النحاة فيتعلق بتفسير وتسويغ القواعد النحوية واستعمال بعض التراكيب دون بعض في أداء المعنى ويشترك مع التعليل البلاغي في هذه الجزئية، أما التعليل النقدي والبلاغي فالنقدي يركز على تحليل النص الأدبي وفق معايير نقدية منها الفصاحة، والبلاغة، والجمال، وتفسير مواضع الجودة والجمال فيها ومواضع الإخفاق، والبلاغي يركز على تحليل الأساليب البلاغية، وتفسير مواضع الجمال والقبح فيها، ويختص بتفسير القواعد البلاغية،

وفي أثناء استقرائنا لكتب النقد والبلاغة تبين أن أكثر علل النقاد والبلاغيين تدور حول نوعين رئيسيين من العلل هما: الأول: العلل التي تقدر بالنص وتؤثر في جودته، سواء كانت تلك القوادح ظاهرة أو خفية، وهي متعددة منها: ما يتعلق بفصاحة المفردة أو التركيب، ومنها ما يتعلق بالنظم والأساليب، ومنها ما يتعلق بالتصوير البلاغي، ومنها ما يتعلق بمخالفة مقتضى الحال أو السياق العام للنص، ومنها ما يتعلق بمخالفة قواعد الجنس الأدبي وأعرافه. الثاني: المسوغات التي يستند إليها النقاد والبلاغيون في تفسير وتحليل النصوص، أو العلل والأسباب وراء استعمال تركيب معين دون آخر، أو استعمال أسلوب بعينه دون غيره، وكان لهذا النوع من العلل أثر في إرساء قواعد البلاغة العربية، ولذلك كثر حديث النقاد والبلاغيين فيه وبخاصة في قضية إعجاز القرآن وكشف أسرارها. وأغلب العلل البلاغية بطبيعتها علة افتراضية؛ إذ إنها تعبر عن رؤية صاحبها للنص الأدبي، وكل ناقد ينظر للنص الأدبي بمنظاره، ويحكم فيه ذوقه، وربما حكم فيه أصول مذهبه العقدي، ولهذا تعددت الأحكام النقدية على النص الواحد، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تعدد العلل، وهناك نوع من العلل قد يتفق عليها البلاغيون وهي العلل العامة كعلة "العناية والاهتمام" للتقديم والتأخير، أو علة "الإيجاز" للحذف وغيرها من العلل العامة إلا أنه لا يمكن الاكتفاء بهذه العلل وإنما يجب تخصيصها، ولهذا يمكن أن نعدّ العلل البلاغية العامة عللاً قياسية، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على العلل الخاصة؛ لأن الأحوال مختلفة والعلة التي تصح في موضع ما قد لا تصح في موضع آخر، وهنا قد يتدخل العقل أو الذوق في التعليل، ولذا يمكن أن نطلق على العلل الخاصة اسم "العلل السياقية" لأن العلة في استعمال أسلوب معين أو تعبير معين قد تختص بهذا السياق دون غيره

## الختام

إن التعليل النقدي والبلاغي تفسير للأحكام، وتسويغ للقواعد النقدية والبلاغية. نشأ التعليل النقدي والبلاغي استجابة لعوامل وتغيرات طرأت على المعرفة العربية. نما التعليل النقدي والبلاغي وتطور عبر ثلاث مراحل مرّ بها. يعد التعليل بعامة أداة للتثبيت والتوكيد وتقوية الأحكام وترسيخها في ذهن المتلقي مما ينمي التفكير الإبداعي لديه. وقد اتخذ النقاد والبلاغيون أشكالاً وأنواعاً متعددة للتعليل. تأثر التعليل النقدي والبلاغي بمناهج التعليل في العلوم المجاورة للنقد والبلاغة كعلم الكلام

وعلم أصول الفقه وعلم النحو، كما تأثر بالمذاهب العقدية للنقاد والبلاغيين. العلل النقدية والبلاغية بطبيعتها عللٌ افتراضية تختلف عن العلل الكلامية، وأغلبها يدور حول مسألة التحسين والتقييح، وتسويغ القواعد، وتفسير الأحكام، وقد تعدد العلل البلاغية للحكم الواحد.

### قائمة المراجع

‘Al Qur’an

Abd al-‘Āṭī Gharīb ‘Allām. (n.d.). *Dirāsāt fī al-Balāghah al-‘Arabiyyah*. Benghazi: Publications of Garyounis University.

Abd al-Ḥakīm Rāḍī. (2003). *Nazariyyat al-Lughah fī al-Naqd al-‘Arabī*. 1st ed. Cairo: Supreme Council of Culture.

Abd al-Qāhir al-Jurjānī. (1992). *Dalā’il al-I’jāz*. Edited by Maḥmūd Muḥammad Shākir. 3rd ed. Cairo: al-Madanī Press.

Abū Ḥamid al-Ghazālī. (1961). *Mi’yār al-‘Ilm fī Fan al-Mantiq*. Edited by Sulaymān Duniyā. Egypt: Dār al-Ma’ārif.

Aḥmad al-Shāyib. (1991). *Al-Uslūb*. 8th ed. Cairo: Maktabat al-Nahḍah al-Miṣriyyah.

Al-Qāḍī al-Bāqillānī. (1987). *Tamḥīd al-Awā’il*. Edited by ‘Imād al-Dīn Aḥmad Ḥaydar. 1st ed. Lebanon: Mu’assasat al-Kutub al-Thaqāfiyyah.

Al-Qazwīnī. (1987). *Al-Īḍāḥ fī ‘Ulūm al-Balāghah*. Edited by Muḥammad ‘Abd al-Mun‘im Khafājī. 3rd ed. Beirut: The International Book Company.

Al-Sakkākī. (1987). *Miftāḥ al-‘Ulūm*. Edited by Na‘īm Zarzūr. 2nd ed. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Al-Suyūfī. (n.d.). *Mu’tarak al-Aqrān fī I’jāz al-Qur’ān*. Edited by ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī. Dār al-Fikr al-‘Arabī.

Al-Ṭībī. (2013). *Futūḥ al-Ghayb fī al-Kashf ‘an Qinā’ al-Raib*. Edited by Jamīl Muḥammad. 1st ed. Dubai International Award.

Al-Zamakhsharī. (1998). *Al-Kashshāf*. Edited by ‘Ādil Aḥmad ‘Abd al-Mawjūd and ‘Alī Muḥammad. 1st ed. Riyadh: Dār al-‘Ubaykān.

Badawī Ṭabānah. (1988). *Al-Bayān al-‘Arabī*. 7th ed. Jeddah: Dār al-Manār; Riyadh: Dār al-Rifā‘ī.

Ḥammādī Ṣammūd. (2010). *Al-Tafkīr al-Balāghī ‘inda al-‘Arab*. 3rd ed. Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah.

Ḥasan Faḍl ‘Abbās. (1999). *Al-Balāghah al-Muftarā ‘Alayhā bayna al-Aṣālah wa al-Taba‘iyyah*. 2nd ed. Dār al-Furqān.

Ḥasan Ismā‘īl. (1983). *Al-Nazm al-Balāghī bayna al-Nazariyyah wa al-Taṭbīq*. 1st ed. Cairo: Dār al-Ṭibā‘ah al-Muḥammadiyyah.

Ibn al-Athīr. (n.d.). *Al-Mathal al-Sā‘ir*. Edited by Ahmad al-Hufī and Badawī Ṭabānah. Cairo: Dār Nahḍat Miṣr.

Ibn al-Bannā’ al-Marrākushī. (1985). *Al-Rawḍ al-Murbi‘ fī Ṣinā‘at al-Badī’*. Edited by Riḍwān Banqashrūn. Moroccan Publishing House.

Ibn Sīnā. (1992). *Al-Ishārāt wa al-Tanbīhāt*. Edited by Sulaymān Duniyā. Beirut: Mu’assasat al-Nu‘mān.

Ibn Wahb al-Kātib. (1969). *Al-Burhān fī Wujūh al-Bayān*. Edited by Hafnī Muḥammad Sharaf. Cairo: Maktabat al-Shabāb.

- Iḥsān ‘Abbās. (1983). *Tārīkh al-Naqd al-Adabī ‘inda al-‘Arab*. 4th ed. Beirut: Dār al-Thaqāfah.
- Maḥmūd Tawfīq. (n.d.). *Nazariyyat al-Naẓm wa Qirā’at al-Shi’r ‘inda ‘Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. Union of Arab Writers website.
- Muḥammad Barakāt Ḥamdī. (1992). *Al-Balāghah al-‘Arabiyyah fī Ḍaw’ Manhaj Mutakāmil*. 1st ed. Amman: Dār al-Bashīr.
- Muḥammad Miftāḥ. (1990). *Dīnamiyyat al-Naṣṣ: Ta’nīr wa Injāz*. 2nd ed. Casablanca: Arab Cultural Center.
- Muhannad Ḥamd Shabīb. (2020). “Rhetorical Justification in Dalā’il al-I’jāz.” *Journal of Studies: Humanities and Social Sciences, University of Jordan*, Vol. 47, No. 2.
- Naṣr Ḥāmid Abū Zayd. (1996). *Al-Ittijāh al-‘Aqlī fī al-Tafsīr*. 3rd ed. Casablanca: Arab Cultural Center.
- Raḥmān Garkān. (2016). *Manāhij al-Naqd al-Balāghī: Qirā’ah wa Taṭbīqāt*. 1st ed. Amman: Dār al-Riḍwān.
- Sībawayh. (1988). *Al-Kitāb*. Edited by ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. 3rd ed. Cairo: Maktabat al-Khānjī.
- Yahyā al-‘Alawī. (2002). *Al-Ṭirāz al-Mutaḍamman li-Asrār al-Balāghah*. Edited by ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī. 1st ed. Beirut: Al-Maktabah al-‘Aṣriyyah.